

بَابُ الْمُرَاتِلَةِ وَالْمُنَاطِقَةِ

العاطفة والعقل في الشعر

حول « ديوان الكروان »

ابن فارس

قرأت في « مقتطف » فبراير الماضي نقداً لديوان الكروان بقلم (خ . ش) . فأسبت فيه ما أريد التعليق عليه

قال : « ولعل فكره (يعني فكر الاستاذ العقاد) يشير عاطفته أكثر مما تثير عاطفته فكره . فهو كأنما ينقل قلبه إلى رأسه أكثر مما ينزل رأسه إلى قلبه »

فمثل هذا التمييز بين العاطفة والعقل ثم رجوع صنوف الشعر إلى كلي منهما مما لا اذهب اليه . وكأن (خ . ش) ينظر إلى الشعر بعيني « الرومانتي » *romantique* الذي لا يرى العاطفة إلا حيث يصيب الوان الاحساس مبسطة مستفيضة . وكأنه يرى العقل حيث يصيب هذه الالوان مردودة أو مكسوحة أو مسنورة . والتحقيق ان العاطفة تبرز في اشكال شتى : فتارة في غلج وجلبة شأنها عند (هوغو) و (لامرتين) . واخرى في تحفظ ومغالطة ، شأنها عند (دي ليل) ، وثالثة في خفة ومداورة ، شأنها عند (فولين) . والغالب في الظن أن العاطفة التي يعينها (خ . ش) هي عاطفة (هوغو) و (لامرتين) . ولولا ان يكون الامر هكذا ما ميز بين القلب والرأس مثل ذلك التمييز وسواء أعادة كانت العاطفة أو مستندة فهي ملاك الشعر . فلا شعر حيث لا عاطفة . وربما اتفق للعاطفة ان تفور وربما اتفق لها ان تنزل . فان ارتت كانت طوع امر العقل . لان العاطفة المتحفلة أو العاطفة الختفة لا تبلغ مبلغها من التحفظ أو الخفة الا اذا تخلها العقل . فالعقل مهذب العاطفة لا مشيرها ، وبالتالي ليس للعقل ان يرسل الشعر . فمن الغريب اذن ان يقول (خ . ش) « ولعل فكر العقاد يشير عاطفته أكثر مما تثير عاطفته فكره »

بل اذا خلّى القلب وشأنه زلّ واورط صاحبه . والى هذا نظر أبو الطيب حين قال :

ولا بدّ للقلب من آلةٍ ورأيٍ يصدع صمّ العفا

على ان اعمال العقل في الشعر ليس بمستحيح . فالعقل يصفي الوان الاحساس ، اذ يخفف من فوران العاطفة ويرد من نزوان القلب . ولكنه يحتم له ان يعتاض عن شدة الفوران وفرط النزوان نداء طلب الفن والذقة في التعبير كما فعل اهل البرناس *Parnassiens* ، وتارة الوصف الصادق والكف عن الفن كما صنع الواقعيون *Réalistes* وتارة الرمز والموسيقى والاشغال كما فعل الرمزيون *Symbolistes* والعقائدين اهل البرناس وبين الواقعيين